المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

الحياة العلمية في مدينة رندة الأندلسية

د. نعيمة حسن فليح
قسم التأريخ والحضارة الإسلامية، كلية الامام الاعظـــــم الجامعة، ديوان الوقف السني، العراق
البريد الألكتروني: naimahasan7250@gmail.com

الملخص
مدينة رندة إحدى المدن الأندلسية، شهدت ازدهارا كبيرا أبان الحكم الإسلامي للأندلس، وقد حظيت بمكانة مرموقة، لا تقل أهمية وشأن عن مدن الأندلس الكبرى، فقد وصفت بأنها "من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وصفاً" وأصبحت منارة العلم والثقافة، اشتهر رجالاتها وأعلامها الكبار في مجالات العلم والفلسفة والأدب والتصوف، فلم يتركوا حقلا من حقول العلم والمعرفة الا طرقوها، حيث ألفوا كتباً في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وآدابها وعلومها وفي الشعر.

الكلمات المفتاحية: الحياة العلمية، مدينة رندة، الأندلس.

Scientific life in the Andalusia city of Randa

Dr. Naima Hassan Flaih
Department of History and Islamic Civilization, Al-Imam Al-Azam University College, Diwan of the Sunni Endowment, Iraq
Email: naimahasan7250@gmail.com

ABSTRACT
The city of Randa, one of the Andalusian cities, experienced a great boom during the Islamic rule in Andalusia and enjoyed a position of prestige no less than the great Andalusian cities. Science, philosophy, literature and mysticism have not left the field of science and knowledge unless they have been entered through the writing of books on the teachings of the Qur'an, hadith, jurisprudence, language, its literature and teachings and poetry.

Keywords: scientific life, the city of Randa, Andalusia.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

المقدمة

إن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

تعد فترة القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من بين مراحل التاريخ الأندلسي الأكثر انتاجاً، فعلى الرغم من أن بلاد الأندلس قد شهدت حرباً أهلية، أدت الى ضعف الخلافة الأموية، ومن ثم سقوطها وقيام العديد من الكيانات السياسية المتآمرة على أنقاضها، وقد اصطلح المؤرخون تراثياً على تسمية هذا العصر بعصر ملوك الطوائف(422-487ه/1031-1094م)، فقد كانت الحياة العلمية قوية ومزدهرة، ولهذا عدَّ كثير من الكتاب القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، العصر الذهبي بالنسبة للحياة العلمية.

فقد بلغت الذروة والأوج وقتذاك في العديد من مجالات المعرفة، حيث انتشرت العلوم والمعارف في كل أرجاء الأندلس، ولم تبقى قرطبة وحدها هي عاصمة العلم والثقافة، بل أصبح هناك العديد من الحواضر الثقافية، منها مدينة رندة التي وصفت بأنها :"بلد أعيان وصدور"، حيث كانت مقصداً للعلماء والشعراء، تزدهر فيها أنواع من العلوم، وظلت حاضرة من خلال رجالاتها وأعلامها الكبار الذين اشتهروا في مجالات العلم والفلسفة والأدب. وهي موضوع بحثنا هذا، الذي سنتناول فيه أهمية المدينة، وبيان موقعها الجغرافي، وتأريخها السياسي، وازدهار الحياة العلمية فيها، فقد تضمن المبحث الأول مدينة رندة: التسمية والموقع والتاريخ والحضارة، وتضمن المبحث الثاني: الحياة العلمية في مدينة رندة، ومن الله التوفيق، قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

المبحث الأول
(مدينة رندة... التسمية والموقع والتاريخ والحضارة)

أولا: التسمية

وردت لفظة رندة بعدة معاني في كتب المعاجم اللغوية العربية، منها: إن الرند: شجر بالبادية، طيب الرائحة، يستاك به، ليس بالكبير، وله حب يسمى الغار، واحدته: رندة. وقيل: ربما سموا العود الذي يتبخر به رندا، وروي عن أبي العباس أحمد بن يحيى[2] أنه قال:" الرند: الآس[3] عند جماعة أهل اللغة"، وقيل: الرند الحنوة، وهو طيب الرائحة[4]. والرند عند أهل البحرين؛ شبه جوالق[5] صغير واسع الأسفل، مخروط الأعلى يسف من الخوص، يخيط ويضرب بالشرط المفتولة من الليف، حتى يتمتن فيقوم قائما، ويعرى بعرا وثيقة، ينقل فيه الرطب أيام الخراف، يحمل منه رندان على الجمل القوي[6]. ورُندة، بالضم: حصن من تاكرنى بالأندلس[1].

---

[1] سورة هود، جزء من الآية: 88.

[2] بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، وصف بأنه كان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ، وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم، مقدماً عند الشيوخ منذ هو حدث، توفي سنة (291ه/903م)، للمزيد: ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900، ج1، ص102.

[3] شجر ورقه العطر، الواحدة بالهاء.. والآس: شيء من العسل، ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت170ه/786مـ): العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج7، ص331.

[4] الأزهري، محمد بن أحمد (ت370ه/980م): تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج14، ص67.

[5] وعاء ، ينظر: الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت393ه/1002م): تاج اللغة، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 ، ج4، ص1454.

[6] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711ه/1311م): لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414، ج3، ص186.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

وأنشد الجوهري: ورندا ولبنى والكباء المقترا[2].

وقال أبو عبيد[3]:"ربما سموا عود الطيب الذي يتبخر به رندا"، وأنكر أن يكون الرند الآس[4].وقيل : رَنْد جمع رندة: شَجَرٌ طيب الرائحة من الفصيلة الغارية، ينبت في سواحل الشَّام والجبال السَّاحلية، يُصنع منه المساويك، واحدته: رَنْدة وبها سميت المرأة[5]. ورَنْد في حياكة إسبانية: نوع من النسيج المخرم (ألكالا)، وبالإسبانية Randa. ورُنْدَة: مسجد يبنى على قبر المرابطين، والكلمة الإسبانية Ronda لا تدل على هذا المعنى. ورنده بالفارسية : منحَت، آلة لسحج الخشب وتسويته وتنعيمه[6].

ثانيا: الجغرافية والوصف

وصفت رندة بأنها معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنّا[7]، تقع بالقرب من إستجة[8]، على نهر جار وبها زرع واسع وضرع سابغ[9]، قال السلفي أبو الحسن سقي بن خلف بن سليمان الأسدي الرّندي: رندة حصن بين إشبيلية[10] ومالقة[11]، تقع على ارتفاع(2400) قدم فوق سطح البحر، وهي تقوم وسط مدارج جبلية مترامية الاطراف عند حافة هضبة صخرية تنتهي بحوائط وعرة على الجانب الغربي، ويقسمها قسمين شق تاجه الطبيعي، عمقه (500) قدم، يجري في اسفله السيل الجارف الذي عرف بوادي اللبن، ثم عرف فيما بعد باسم وادي آراه[12]. وهي على بعد ثلاثة أيام من الجزيرة الخضراء[13]، تكثر فيها الفواكه والمياه والحرث والماشية، وأهلها موصوفون بالجمال ورقّة البشرة واللّطافة[14]، و بها آثار كثيرة، يجلب اليها الماء من قرية بشرقيها ومن جبل طلوبرة بغربيها، فيوافي الماء داخلها من شرقيها وغربيها، ويتوارى نهرها في غار فلا ترى جريته أميالاً ثم

---

[1] الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت1205ه/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج8، ص120.

[2] الجوهري: تاج اللغة، ج2، ص478.

[3] أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، ولد سنة سبع وخمسين ومائة، وصف بأنه كان مؤدبا، صاحب نحو وعربية، وطلب للحديث والفقه ، له عدة مؤلفات منها: كتاب الأموال، وكتاب الغريب، كتاب فضائل القرآن، كتاب الطهور، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب المواعظ ، للمزيد، ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت748هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985، ج10، ص490.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص186.

[5] أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية، عالم الكتاب، 2008، ج2، ص947.

[6] رينهارت آندوزي (ت1300ه/1882م): تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم، وزارة الثقافة، العراق، 2000، ج5، ص224.

[7] من أعمال شذونة، ينظر: ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626ه/1228م): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ج2، ص7.

[8] مدينة بالأندلس تقع على بعد عشرة فراسخ من مدينة قرطبة، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص174.

[9] ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص73.

[10] مدينة عظيمة في الأندلس، تقع غربي قرطبة، تشتهر بزراعة محصول القطن، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص195.

[11] مدينة كبيرة في الأندلس، تقع بين الجزيرة الخضراء والمرية، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص43.

[12] ليفي بروفنسال: دائرة المعارف الإسلامية، وزارة المعارف، ج10، ص197.

[13] مدينة عظيمة في الأندلس، تعد من أشرف المدن وأطيبها ارضاً، تقع على نهر برباط، تقابل مدينة سبتة في بلاد المغرب، ينظر: ياقوت: معجم البلدان،ج2، ص136.

[14] ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت749ه/1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، ابو ظبي، 1423، ج4، ص237.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

يظهر حتى يقع في نهر لكه. وبقرب مدينة رندة عين ماء، تعرف بالبراوة تجري من أول الربيع إلى آخر الصيف فإذا دخل الخريف نضب ماؤها فلا تبض بقطرة إلى أول الربيع من عام ثان[1].

وقد وصفها ابن الخطيب بقوله: "أم جهات وحصون، وشجرة ذات غصون، وجناب خصيب، وحمى مصون، بلد زرع وضرع، وأصل وفرع، مخازنها بالبر مالية، وأقواتها جديدة وبالية، ونعمها بجوار الجبل متوالية، وهي بلد أعيان وصدور، وشموس وبدور، ودور أي ودور، وماء واديها يتوصل اليه في جدور، محكم مقدور، وفي اهلها فضاضة وغضاضة، ما في الكلف بها غضاضة يلبس نساؤها الموق[2]، على الأملد المرموق، ويسفرن عن الخد المعشوق، وينعشن قلب المشوق، بالطيب المنشوق"[3]. ووصفها ابن بطوطة عندما زارها سنة سبعمئة وخمسين هجرية بقوله: "وهي من أمنع معاقل المسلمين واجملها وصفاً"[4]. ووصفها المقري بقوله: "أحد معاقل الأندلس الممتنعة، وقواعدها السامية المرتفعة، تطرد منها على بعد مرتقاها، ودنو النجوم من ذراها، عيون لانصبابها دوي كالرعد القاصف، والرياح العواصف، ثم تتكون وادياً يلتوي بجوانبها التواء الشجاع، ويزيدها في التوعر والامتناع، وقد تجونت نواحيها وأقطارها، وتكونت فيها لباناتها وأوطارها، لا يتعذر لها مطلب، ولا يتصور فيها عدو إلا علقه ناب أو مخلب"[5]. وأنها كما يقول ابن سعيد: "تعممت بالسحاب وتوشحت بالأنهار العذاب ووصف ووصف أهلها بالجفاء"[6]. وذكر ابن سعيد أن والده موسى أخبره أن أبو الفتح بن فاخر التونسي قد زارها يوما وحدث له بها وحشة فأنشد يقول:

"قبحاً لرندة مثلما قبحت مطالعة الذنوب
بلد عليه وحشة ما إن يفارقه القطوب
ما حلها أحد فين وي بعد بين أن يؤوب
لم آتها عند الضحى إلا وخيل لي غروب
أفق أغم وساحة تملا القلوب من الكروب"[7]

ثالثا: التأريخ والحضارة

يحيط بمدينة رندة بقايا مستوطنات ترجع لعصور ما قبل التأريخ وبالتحديد لفترة العصر الحجري، بما في ذلك اللوحات الصخرية في مغارة(Cueva de la Pileta) وتعد الشعوب الكلتية[8] "السلتية" هي أول من سكن رندة

---

[1] الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت900ه/1494م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر، بيروت، 1980، ص269.

[2] خف غليظ تلبسه النساء فوق خف أرق منه، ينظر: ابن دريد، أبو بكر محمد(ت321ه/933م): جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج3، ص1326.

[3] محمد بن عبد الله (ت776ه/1374م): معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص130.

[4] محمد بن عبد الله(ت779ه/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، ج2، ص518.

[5] شهاب الدين احمد بن محمد(ت1041ه/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997، ج4، ص132.

[6] أبو الحسن علي بن موسى(ت685ه/1286م): المغرب في حلا المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955، ج1، ص334.

[7] المقري: نفح الطيب، ج4، ص132.

[8] الكلت أو القلط أو السلت باللاتينية Celtae : هم مجموعة أوروبية تستخدم اللغة الكلتية التي تعتبر فرعاً من اللغات الهندية الأوروبية. والكلت اليوم منحصرون في الحافة الكلتية المزعومة في ساحل الأطلسي من جهة= =غرب أوروبا، واللغة الكلتية كانت اللغة المهيمنة على أوروبا، من إيرلندا حتى البرتغال وشمال إيطاليا وسلوفاكيا. ينظر: موسوعة ويكيبيديا، الكلت.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

رندة في القرن السادس قبل الميلاد وأسموها أروندا. ومن ثم استوطن الفينيقيون [1] في مكان يبعد عن رندة بعشرين كيلومتر وهو ما يعرف برندة القديمة. أما مدينة رندة الحالية فترجع أصولها إلى العهد الروماني حينما استخدمها سكيبيو[2] الإفريقي كحصن أثناء الحرب البونيقية الثانية [3].أما اسم رندة فقد أطلقه عليها القيصر يوليوس[4].

وفي القرن الخامس قبل الميلاد أحتل السويبيون[5] بقيادة ريكيلا مدينة الرندة، ثم تلاه احتلال الإمبراطورية الرومانية الشرقية وفي عهدها أصبحت الرندة القديمة مهجورة. ومن ثم احتلها القوط [6]حتى سنة (92ه/713 م).

حيث فتحها العرب وأسموها رندة أو مدينة القلعة[7].

في الواقع عرفت رندة ازدهاراً كبيراً إبان فترة الحكم الإسلامي للأندلس وكانت عاصمة إقليمية. وبعد تفكك الخلافة الأموية في قرطبة أصبحت رندة عاصمة لمملكة صغيرة من البربر يحكمها بنو يفرن أو الإفرنيون(427- 457ه)[8]. خلال هذه الفترة تلقت رندة معظم تراثها الإسلامي. وفي عام(457ه/1065 م) غزاها ملك طائفة إشبيلية المعتضد بن عباد[1] ومن قوله حين استولى عليها وهو مما يتفق مع عنفه وصرامته:

---

[1]هم أحد الشعوب السامية التي سكنت بلاد الشام وأنشأت ممالك صغيرة عكا وجبيل وصيدا وصور وفي الفترة مابين(1000 - 700 ق.م)أنشأوا مستعمرة لهم في قرطاج وكانوا قوة مهيمنة في العالم القديم حتى 146 ق.م إثر سقوطها بعد حروب بونية ثالثة ،أصولهم تعود إلى سيناء الموطن الأول للأبجدية الكنعانية، ينظر: محمد الدنيا: الفينيقيون وأساطيرهم، القاهرة، ص2-5.

[2]بابليوس كورنيليوس سكيبيو الإفريقي، قنصل وقائد روماني خلال الحرب البونيقية الثانية .اشتهر بانتصاره على حنبعل(على حنبعل(قائد عسكري قرطاجي) في معركة زاما التي حسمت الحرب البونيقية الثانية، ومن هنا اكتسب لقبه "الإفريقي"، كما يلقب بـ"حنبعل الروماني"، ويعتبر واحد من خيرة القادة العسكريين في التاريخ. كانت أبرز معاركه التي أظهرت قدراته التكتيكية معركة إليبا. ينظر: موسوعة ويكيبيديا، سكيبيو.

[3]الحرب البونيقية الثانية، المعروفة أيضا باسم الحرب الحنبعلية، هي حرب استمرت من سنة (218 ق م) حتى سنة (201 ق م)، ودار القتال فيها في غرب وشرق البحر المتوسط. وكانت هذه الحرب هي الثانية بين قرطاج والجمهورية الرومانية، مع مشاركة من البربر في الجانب القرطاجي. وكانت بين الدولتين ثلاث صراعات كبرى ضد بعضهما البعض، سميت" بالحروب البونيقية"، لأن الرومان أطلقوا على القرطاجيين اسم البونيقيين نظرا لأصولهم الفينيقية. ينظر: محمد شفيق: تاريخ الامازيغيين، ص41.

[4]الأمبراطور غايوس يوليوس قيصر، جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني ولد عام 13 يوليو 100 ق.م وتوفي عام 15 مارس 44 ق.م، وهو أول من أطلق على نفسه لقب :إمبراطور وتولى الحكم(29أكتوبر 49 ق.م 15 - مارس 44ق.م). ينظر: موسوعة ويكيبيديا، القيصر يوليوس.

[5] شعب جرماني قادم من منطقة بحر البلطيق. ينظر: موسوعة ويكيبيديا.

[6] إحدى الشعوب البربرية التى هبطت من شمال أوربا، وقضت على الامبراطورية الرومانية. وينقسم شعب القوط إلى قسمين، هما: القوط الشرقيون، وهم قليلوا العدد، ويقيمون في الزاوية الشمالية الشرقية لجبال ألبرت، والقوط الغربيون، ويقيمون في جنوبى غانة، وقد أخذوا يتوسعون على حساب جيرانهم الوندال حتى أجلوهم عن إسبانيا، واستقروا بها، وأعلن زعيمهم يوريك نفسه ملكًا غير تابع لأحد سنة (467م)، ثم استطاع أن يضم البرتغال= =ولوزيتانيا، وامتد حتى الجنوب فضم قرطاجنة الرومانية وشمال جبال ألبرت ومرسيليا، والهضبة الفرنسية الوسطى. وكان القوط مسيحيين آريين لا يعتقدون بألوهية المسيحية، ولايعترفون بالقساوسة كوسطاء بين الله والناس؛ فشجع القساوسة ملك الفرنجة على حرب القوط وساعدوه ضدهم، حتى استطاع هزيمة القوط سنة (507م)، وأخرجهم إلى جنوب الجزيرة الإسبانية. ينظر: أبو سعيد المصري: الموسوعة الموجزة في التاريخ الاسلامي، ج12، ص59.

[7] موسوعة ويكيبيديا، مدينة رندة.

[8]بطن من بطون زناتة، وكانوا بالمغرب من أولياء الدعوة الفاطمية، وقد اشتركوا في الحرب التي وقعت بالمغرب أيام المنصور بن أبي عامر، وقاتلهم زيري بن عطية أمير مغراوة وعامل المنصور على المغرب، حتى هزمهم بعد معارك هائلة، وهلك أميرهم يدُّو بن يعلي وذلك في سنة(383ه/993م). للمزيد: ينظر: الزركلي، خير الدين محمود(ت

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

"لقد حصلت يـا رنـدة فصرت لملكنا عـقدة
سأفني مـدة الأعـداء إن طالت بـي المـدة
وتبلـى بـي ضـلالتهم ليـزداد الهـوى جـدة
فكم من عـدة قتـلـت مـنـهـم بـعـدها عدة
نظمت رؤسهم عقدا فـحـلـت لـبـة السـدة"[2]

من الجلي إن رندة بقيت في يد المسلمين الى أن سير ملك قشتالة قواته في أنحاء مملكة غرناطة[3]، لكي تنتزع أثناء الاضطراب العام، كل ما يمكن انتزاعه، من القواعد والحصون الإسلامية. ففي أوائل سنة(890ه/1485م) زحف القشتاليون[4] على منطقة الغربية غربي ولاية مالقة ، واستولوا على حصن قرطبة، وحصن ذكوين وعدة حصون أخرى تقع شمال غربي مالقة، في منتصف الطريق بينها وبين رندة، وبذلك عزلت مدينة رندة، وأصبح الطريق ممهداً للاستيلاء عليها. وعلى أثر ذلك زحف القشتاليون على رندة وهى معقل الأندلس في قاصية الغرب وهاجموها، وضربوها بالأنفاط حتى هدمت أسوارها، وكانت حاميتها بقيادة حامد الثغرى زعيم قبيلة غمارة، ولم يستطع أهل رندة أن يثبتوا طويلا لعدم استعدادها للدفاع، ولبعدهم عن العاصمة، ويأسهم من تلقى الأمداد السريعة، فطلبوا الأمان، وغادروا المدينة بأمتعتهم؛ واستولى القشتاليون على رندة في جمادى الأولى سنة (890ه/1485م)[5].

ومن أهم الآثار الإسلامية في المدينة البوابة العجيبة في ضاحية سان فرانسسكو، والمسجد الكبير الذي دمر فيما بعد وحلت محله كتدرائية سانتاماريا، ورندة في الوقت الحاضر قصبة ناحية قضائية من اقليم مالقة يبلغ عدد سكانها واحد وعشرين الف نسمة تقريبا[6]. ويوجد فيها ثلاثة جسور تعد من أشهر المعالم في المدينة وهي: الجسر الروماني، والجسر القديم المعروف بالجسر العربي، والجسر الجديد الذي يمتد للوادي، تم بنائه

1396ه/1976م): الاعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002، ج8، ص91؛ محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ج2، ص46.

(1) عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، المعتضد أبو عمرو صاحب إشبيلية وابن قاضيها، أبو القاسم، لما توفي أبوه تولى المعتضد بعده، وكان شهماً صارماً وخوطب بأمير المؤمنين، دانت له الملوك؛ اتخذ خشباً في قصره وجللها برؤوس ملوك وأعيان ومقدمين، وكان قد تشبه بأبي جعفر المنصور. وطالت أيامه إلى أن توفي في شهر رجب سنة أربع وستين وأربعمائة؛ يقال إن ملك الإفرنج سمه في ثياب بعثها إليه. وصف بأنه الرؤوف العطوف، الدمث الأخلاق الألوف، ما مات حتى قبض أرواح ندمائه وخواصه بيده، ولم يكلهم إلى غيره، ولم يحوجهم إلى أحد بعده، فجزي عنهم بما هو أهله، وكان قد عرف منه ذلك واشتهر، فصار الأدباء يتحامونه. للمزيد: ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر(ت764ه/1362م): فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974، ج2، ص147.

(2) ابن بسام، أبو الحسن علي(ت542ه/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1978، ج3، ص32.

(3) معناها رمّانة بلسان عجم الأندلس سمّي البلد لحسنه بذلك، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقّها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حدارّه، يلقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه أرحاء كثيرة في داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة فتعمّ حمّاماتها وسقاياتها وكثيرا من دور الكبراء، وله نهر آخر يقال له سنجل واقتطع لها منه ساقية أخرى تخترق النصف الآخر فتعمه مع كثير من الأرباض، وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا.ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص195.

(4) ملوك وأمراء مملكة قشتالة، إحدى أجزاء مملكة ليون في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الاسبانية، والتي أصبحت أكبر دولة في شبه جزيرة أيبيريا في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، عاصمتها مدينة برغش، ينظر: بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة (ت569ه/1173م): رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002، ص9.

(5) عنان: دولة الإسلام، ج5، ص206.

(6) ليفي بروفنسال: دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص197.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

سنة(1164ه/1751م)، ويعد أطول الجسور في رندة، كما ويوجد فيها حلبة لمصارعة الثيران والتي هي الأقدم في تاريخ اسبانيا، تم بنائها من قبل المعماري خوسيه مارتن دي سنة(1198ه/1784م)، ويوجد تحت المدينة حمامات عربية يرجع تأريخها الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، كما توجد قاعة البلدية بالقرب من الجسر الجديد ومطلة على الوادي[1].

المبحث الثاني
الحياة العلمية في مدينة رندة

نشطت الحركة العلمية في بلاد الاندلس عامة في العصر الأموي، وما تلاه من العصور الإسلامية حتى سقوطها على أيدي القشتاليين، نشاطا لا مثيل له حتى غدت بحق قاعدة العلوم ومركز الآداب، وأصبح اسمها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم. وقد وصلت الحركة العلمية ذروتها في عصر الخلافة، وعلى الأخص في زمن الحكم المستنصر(350- 366ه)، الذي يحتل مكانة خاصة بين الحكام المثقفين، ووصفوه بأنه كان "جمَّاعًا للكتب"، وكان يرسل المبعوثين إلى القاهرة ودمشق وبغداد والمدن الأخرى التي تهتم بالكتب؛ وذلك لشراء الكتب بأثمان عالية، حتى استطاع أن يجمع نحو(400) ألف مجلد لمكتبته، بل ويروى أنه سجل عليها ملاحظات غاية في الدقة، كما أنشأ دارًا لنسخ الكتب، وأودعها بمدينة الزهراء[2].

كما اجمع الدارسون على ازدهار الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، حيث كان لملوك الطوائف دور كبير في تشجيعهم للعلم واهتمامهم بالعلماء، حيث تنافسوا في اجتذاب أهل الفكر الى ممالكهم حتى أصبحت قصورهم منتديات عامرة ومجامع للعلوم والآداب، وفي هذا يقول الشقندي عندما تحدث عن الأندلس وفضل أهلها في مجالات العلم والمعرفة ذاكراً ملوك الطوائف: "ولما ثار انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في مثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني وليس بينهم إلا من بذل في وسعه في المكارم..."[3].

ولم تخمد هذه الحركة العلمية في عصر دولتي المرابطين والموحدين، فظهر ابن قزمان القرطبي[4] مؤسس مدرسة الزجل، والفيلسوف العظيم أبو الوليد بن رشد القرطبي[5]، وفي الأدب الشقندي[6]، وغيرهم ممن برع في في مختلف العلوم والفنون والآداب. وقد مجد الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي، وقد اشادت جل المصادر التي ارخت للأندلس بدور الحكام الهام في رعاية

---

(1) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مدينة رندة.

(2) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص42.

(3) المقري: نفح الطيب ، ج3، ص189-190.

(4) هو أبو بكر محمد بن عيسى ابن عبد الملك بن قزمان الزهري من أهل قرطبة، برع في الشعر والأدب، وبرع بنوع خاص في نظم القصائد الهزلية بلغة عوام الأندلس. كان من كبار العلماء وجلة الفقهاء، توفي سنة (555ه/1160م)، للمزيد: ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص518.

(5) أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، وصف بأنه كان فقيها عالما، حافظا للفقه، مقدما فيه على جميع أهل عصره، عارفا بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المالكية، نافذا في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم، والبراعة والفهم، مع الدين والفضل، والوقار والحلم، توفي سنة (520ه/1126م)، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ج19، ص501.

(6) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي، من أهل قرطبة، وهو من علماء الأندلس المشهورين، تولى القضاء في عدة مدن أندلسية، توفي سنة(627ه/1230م)، للمزيد: ينظر: المقري: نفح الطيب، ج3، ص222.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

الحركة العلمية التي شهدتها مختلف مدن الأندلس ومنها مدينة رندة الأندلسية التي ظلت حاضرة العلم والثقافة من خلال رجالاتها وأعلامها الكبار الذين اشتهروا في مجالات العلوم الدينية والتطبيقية، والفلسفة والأدب والتصوف.
وكان في مقدمة العلوم التي اهتم بها الأندلسيون من أهل رندة العلوم الدينية وفي مقدمتها علم الفقه، حيث أحتل الفقه مكانة عالية لدى الأندلسيين، وحظي الفقهاء بعناية وتقدير الخلفاء والأمراء، وقد ازدهرت الدراسات الفقهية بجهود العديد من فقهاء الاندلس ومنهم فقهاء رندة. ويأتيَ في مقدمتهم محْمَد بْن محمد بْن عَبْد اللَّه سعيد بن عباس بن مُدبر الازدي، ْيكنى أَبَا القاسم، وصف بأنه كَانَ فقيها كَاتبا، ولي قضاء رندة واقرأ ببلده العربية والآداب[1].
كما حظي علم الحديث النبوي الشريف باهتمام الأندلسيين الذين أقبلوا على دراسة الحديث وجمعه وترتيبه، بفضل الرحلات العلمية التي قاموا بها الى المشرق، ومن أبرز محدثي رندة، عبيد اللَّه بْن عاصم بْن عيسى بْن احمد بْن عيسى بْن محمد الْأَسدي، الذي كان إمام جَامعهَا والخطيب به، وكان من أهل العناية بالرواية حدث وَأخذ عَنهُ وأجاز للبَعض سنة (635ه/1238م)[2]. والخطيب المحدث أَبُو الْحَسَن الاسدي، الرندي، خطيب رندة وعالمها، ومُسْنِد الأندلس فِي وقته. ولد فِي جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسمائة. وكان من أهل العناية بالرّواية.
والمحدث أبو القاسم ابن الأيسر. خطيب قلعة رندة. وصفه الذهبي بقوله:" شيخ محدّث مُعَمَّر من أهل قرشتينانه من قرى رنده"[3]. والمحدث عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي، يكنى أبا القاسم، كان عين بلده رندة، وصف بأنه كان كثير الانقباض والعزلة، مجانبا لأهل الدنيا، نشأ على طهارة وعفّة، مرضي الحال، معدودا في أهل النّزاهة والعدالة، وأفرط في باب الصّدقة بما انقطع عنه أهل الإثراء من المتصدّقين، ووقفوا دون شأوه.
ومن شهير ما يروى من مناقبه في هذا الباب، أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رقبة، وفي ذلك يقول بعض أدباء عصره:

أعتق بكل عضو منه رقبه واعتدّ ذلك ذخرا ليوم العقبه

ومن شعره قصيدة يردّدها المؤذنون منها:

كم ذا أعلـل بالتّسويف والأمـل قلبـا تغلّـب بـيـن الـوجـد والوجـل
وكـم أجـرّد أذيـال الصّبـا مرحـا في مسرح اللهو وفي ملعب الغـزل
وكم أماطل نفسي بـالمتـاب ولا عزم فيوضح لي عن واضح السّبل
ضللت والحقّ لا تخفى معالمه شتّـان بين طـريـق الـجـدّ والـهـزل

توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وستمائة[4].
كما كان للأندلسيين نشاط واضح في مجال علوم القرآن ولاسيما القراءات التي تخص طرق قراءة القرآن من طرق قراءها السبع، وأول القراءات التي دخلت الأندلس كانت قراءة نافع المدني على يد العلامة الغازي بن قيس في عصر الإمارة، وقد برز العديد من علماء القراءات في مدينة رندة منهم: محمد بن عبيد الله بن أحمد بْن محمد بْن هِشَام بْن عَبْد الرحمن بْن غَالب بن نصر بن سَالم الخشني، يعرف بِابْن العويص ويكنى أَبَا عَبْد اللَّه، ، ناظر فِي كتاب سِيبَوَيْهِ. ومحمد بن أَحْمد بن أبان الشعباني، يكنى أَبَا عَبْد اللَّه أَخذ القراءات عن أبي مروان عبد الْملك بن محمد بن طفيل وتصدر للإقراء ببلده وَعنهُ أَخذ أَبُو عَليّ بن عبد الْمجِيد الرندي وَهُوَ كَانَ مؤدبه.

---

[1] ابن الابار، محمد بن عبد الله (ت658ه/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995، ج1، ص67.
[2] ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص167.
[3] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ج47، ص424.
[4] ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424، ج3، ص359.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

ونظراً للارتباط علوم اللغة والنحو الشديد بعلوم القرآن والدين، فإن الأندلسيين اهتموا بها اهتماما بالغا، فسعوا الى دراسة النحو وحفظ قواعده. وقد اشتغل الكثير من النحويين في تأديب الناشئة وتعليمهم قواعد اللغة العربية، والنطق بها نطقاً سليماً. ومن اشهر نحوي رندة أبي محمد البطليوسي، فقد كَانَ مقرئا ماهرا نحويا لغويا أديبا جَلِيلًا يقرئ القرآن وَيعلم بالعربية دأب على ذَلِك حَيَاته كلهَا وَحدث وَأخذ عنه، توفّي بمالقة غداة يوم السبت التاسع عشر لشوال سنة سِتّ وَسبعين وخمسمائة.

ومن كبار الشيوخ والأولياء، والزهاد الأتقياء، شيخ عصره، وسراج زمانه، والذي تميز بتواضعه وحيائه وكرمه، وبعلمه وحُسن خِلْقَته وخُلُقه، ابن عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى ابن عباد النفزي الحميري الرندي، الذي ولد برندة جنوب الأندلس سنة (733ه/1333م)، ونشأ في أسرة اشتهرت بالصلاح والزهد والاشتغال بالعلوم الدينية، كما حفظ القرآن وعمره لا يتجاوز السبع السنوات، وتشاغل بعدُ بطلب العلوم النحوية، والأدبية، والأصولية، والفروعية، ثم أخذ في طريق الصوفية، والمباحث على الأسرار الإلهية، حتى أشير إليه، وتكلم في علوم الأحوال، والمقامات، والعلل، والآفات، وألف فيه تآليف وتصانيف عجيبة، وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم، نحو مجلدين، جامعا بذلك بين علمي الشريعة والحقيقة، توفي سنة(792ه/1390م)[1].

ومن أهل رنده من نواحى إشبيليّة، ابن خروف النحوي. قرأ النّحو ببلاده وأجاده، وكان كثير التّرحال والتّسيار بمدن الأندلس، يفيد أهل كلّ مدينة يدخلها، وتقصده الطّلبة من أهلها، وكان فاضلا في هذا الشأن، وله كلام على كتاب سيبويه، جوّده غاية الإجادة، وهو من مليح مصنّفات أهل الأندلس فى هذا النّوع، وعاش هذا الرّجل إلى قريب من سنة تسعين وخمسمائة تقديرا[2]. والنحوي أخيل بْن إِدْرِيس القَيْسيّ الْكَاتِب من أَهْل رندة، يكنى أَبَا القَاسِم، وكَانَ من أَهْل الْعلم وَالْأَدب، معروفا بالإدراك والبلاغة، جوادًا سَمحا من أَهْل الذكاء والدهاء، وَولي قَضَاء قرطبة وإشبيلية ، وتوفي بإشبيلية سنة ستين أو إحدى وستين وخمسمائة[3].

كما اهتم الأندلسيون بعلم الفلك والرياضيات والفلسفة والكيمياء، ولعل أبرز من برع في جمع هذه العلوم من علماء رندة، هو: أبو القاسم عباس بن فرناس، ، من موالي بني أمية، وبيته في برابر (تاكرنا)، كان فيلسوفا شاعرا، له علم بالفلك، وهو أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وصنع (الميقاتة) لمعرفة الأوقات، ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها. وأراد تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش، ومدّ له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره لأنه لم يعمل له ذنبا، ولم يدر أن الطائر إنما يقع على زمكه. فهو أول طيار اخترق الجو[4]. وصفه الصفدي بقوله:" كان شاعرا مفلقا وفحلا مجودا مطبوعا مقتدرا كثير الإبداع حسن التوليد مليح المعاني بعيد الغور رقيق الذهن له شخص إنسي وفطنة جني، وكان متفلسفا في غير ما جنس من الصناعات، وكان أبصر الناس بالنجوم وأعلمهم بدقائقها وأعرفهم بالفلك ومجاريه[5].

---

(1) التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد (1036ه/1627م): نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ط2، دار الكاتب، ليبيا، 2000، ص473.

(2) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت646ه/1248م): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982، ج4، ص192.

(3) ابن الأبار: التكملة، ج1، ص174.

(4) الزركلي: الاعلام، ج3، ص264.

(5) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764ه/1363م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار احياء التراث، بيروت، 2000، ج16، ص380.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

كما اهتم الأندلسيون بالشعر، وذلك بفضل الطبيعة الخلابة للأندلس وقريحة أهلها حيث ازدهر الشعر فيها وبرز منها كثير من الشعراء يتغنون بجمال بلادهم، فبرعوا في فن الوصف والتشبيه. فقد كان منهم طبقة بارزة أسهمت في السياسة العامة للدولة ، وظفرت لذلك بالحظوة عند الامراء. وقد امتازت اشعار الأندلسيين بجزالة اللفظ، وجمال رنينها، وابداع الأخيلة وبعد مداها، وقد كان بلاط الخلفاء حافلا بالشعراء لدرجة أنهم كانوا يصحبونهم معهم في الغزوات. وقد برز شعراء من أهل رندة كان من أبرزهم أبي الحجاج المنتشافري، يوسف بن موسى الذي وصفه ابن الخطيب بقوله: "حسنة الدهر الكثير العيوب، وتوبة الزمان الجم الذنوب، ماشيت من بشر يتألق، وأدب تتفطر له السمات وتتخلق، ونفس كريمة الشمائل والضرائب، وقريحة يقذف بحرها بماء الغرائب، إلى خشية الله تعالى تحول بين القلوب وقرارها، ومراقبة تثنى النفوس عن اغترارها، ولسان يبوح بإشراقه، وجفن يسخو بدرر آماقه، وحرص على لقا أهل الديانة والأدب، ويحث عمن يمت إلى العلم والعبادة بسبب، سبق بقطرة الحلبة، ونزع من الأدب الهضبة، ورفع الراية، وبلغ الغاية، فطارت قصائده كل المطار، وتغنى بها راكب الفلك وحادي القطار، وتقلد خطة القضاء ببلده وانتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله وولده، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه، وحسن مقصده، وله شيمة في الوفاء يعلم منها الآس، ومؤانسة لا تستطيعها الأكواس"[1].

وقال ابن الخطيب في حوار مع ابي الحجاج: " ولما دخلت رندة الأنيقة البطاح، المحتوية على الأدب والسّماح، والعلم والصلاح، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمّر رئيس الأدباء، وقدوة الفقهاء، أبا الحجاج المنتشافري، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان، ولا سمح لي بلقائه صرف الزمان، ولم أزل أكلف بمقطوعاته العجيبة، وأولع بضرائبه الغريبة، وتأتي منه مخاطبات تزري بالعقود بهجة، وتطير لها العقود لهجة. نظم كما تنفّس الصبح عن تسيمه، ونثر كما تأسس الدّر بتنظيمه، فأحلّني منه محلّ الروح من الجسد، وشهد لي أني أعزّ من عليه ورد، ورآني قد ظهرت على مضاضة الاكتئاب، لكوني قريب عهد بالإياب، مهزوما انهزام الأحزاب، خالي الوطاب ، نزر الثياب، فقال: فيم الجزع، ذهب بحول الله الخوف وأمن الفزع، فأجبته عجلا، وقلت أخاطبه مرتجلا:

لا تجزعي نفسي لفقد معاشري وذهاب مالي في سبيل القادر
يا رندة هـا أنـت خيـر بـلاده وبهـا أبو حجـاج المنتشـافـري
سيريك حسن فرائد مـن نظـمـه فـتزيـل كل كآبـة في الـخـاطـر

فأجابني مرتجلا:

سرّاي، يا قلبي المشوق وناظري بمزار ذي الشّرف السّنيّ الطاهر
روض المعـارف زهرهـا الـزّاهـي أوصافه أعيت ثـنـاء الشـاكـر
ولـواد آش مـن فـخـار لـم يـزل من كابن حزب الله نـور النّاظـر
وافـى يـشـرّف **رنـدة** بـقـدومـه فـغـدت بـه أفـقـا لـبـدر زاهـر
من روضـة الأدبـاء أبـدى زهـرة قـد أينـعت عن فكر حبر ماهـر
جمـع المآثر بالسّـنـاء وبـالسّنـا أعظـم بـه مـن صانـع لمـآثـر
ما زلـت أسـمع من ثـنـاه مآثـرا كانت لسامـعـها مـعـا والـذّاكـر"[2]

ومن شعراء رندة البارزين، صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النّفزي(ت684ه) ، يكنى أبا الطّيّب. وهو من حفظة الحديث والفقهاء. وقد كان بارعا في نظم الكلام ونثره. وكذلك أجاد في المدح والغزل والوصف والزهد. إلا أن شهرته تعود إلى قصيدة نظمها بعد سقوط عدد من المدن

[1] ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ج2، ص371.
[2] ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص250.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

الأندلسية، والتي نظمها ليستنصر أهل العدوة الإفريقية من المرينيين عندما أخذ ابن الأحمر، محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وأملا في أن يبقى ذلك على حكمه غير المستقر في غرناطة وتعرف قصيدته بمرثية الأندلس[1].

وقد قال عنه ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة: " كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ونثره، فقيها حافظاً فرضياً، له مقامات بديعة في أغراض شتى وكلامه نظما ونثرا مدون"[2].

ووصفه ابن الخطيب بقوله:" شاعر مجيد في المدح والغزل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرائض. نظم في ذلك. وله تواليف أدبية، وقصائد زهدية، وجزء على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وكان في الجملة معدودا في أهل الخير، وذوي الفضل والدّين. تكرّر لقائي إياه، وقد أقام بمالقة أشهرا، أيام إقرائي. وكان لا يفارق مجالس إقرائي، وأنشدني كثيرا من شعره"[3].

وقد أورد المقري نص قصيدته الرائعة التي عرفت بمرثية الاندلس:

"لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى إلى أحد ولا يدوم على حالٍ لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو كان أبن ذي يزن والغمدان غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شداه شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما يحكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على داراً وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يهونها وما لمّا حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فارتزئت حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسيةٍ وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم كم عالم قد سما فيه له شأن
وأين حمص وما تحويه من نزهٍ ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء لم تبق أركان
تبكي الحيفة البيضاء من أسفٍ كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خاليةٍ قد أسلمت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلاّ نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثى وهي عيدان

---

[1] الزركلي: الاعلام، ج3، ص198.

[2] أبو عبد الله (ت 703ه/1304م): تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2012، ج1، ص50.

[3] الاحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص275.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

يا غفلان وله في الدهر موعظة إنَّ كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحا يلهيه موطنه أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها مع طول الهر نسيانُ
يا أيّها الملك البيضاء رايته أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبانُ
وحاملين سيوف الهند مرهفةً كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ لهم بأوطانهم عزٌ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم أسرى وقتلى فما يعتز إنسانُ
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وانتم يا عباد الله إخوانُ
ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفتر وطغيانُ
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدانُ
فلو ترهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوانُ
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر واستهوتك أحزانُ
يا رُبَّ أم وطفلٍ حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدانُ
وطفلةٍ ما رأتها الشمس إذ برزت كأنها هي ياقوت ومرجانُ
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيرانُ
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمانُ"[1]

الخاتمة

بعد رحلة ممتعة في دراسة مدينة رندة الأندلسية من حيث موقعها، وتسميتها، وتأريخها والحياة العلمية فيها، توصل البحث المتواضع الى مجموعة من الاستنتاجات:

1- حظيت مدينة رندة بمكانة مرموقة، لا تقل أهمية وشأن عن مدن الأندلس الكبرى، فقد وصفت بأنها "من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وصفاً"، تقع بين أشبيلية ومالقة، على نهر جار، وبها زرع واسع وضرع سابغ، تكثر فيها الفواكه والمياه والحرث والماشية، وأهلها موصوفون بالجمال، ورقة البشرة واللطافة، وبها آثار كثيرة.

2- أما تسميتها فتعود الى الشعوب الكلتية الأوربية، فهم أول من سكنها وأطلقوا عليها تسمية (أروندا) في القرن السادس قبل الميلاد، ثم استوطنها الفينيقيون، وأما تسميتها بـ (رندا) فقد أطلقه عليها الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر في القرن الرابع قبل الميلاد، وعندما فتحها العرب المسلمون سنة (92ه) أطلقوا عليها تسمية رندة أو مدينة القلعة. ومعنى كلمة (الرند) هو شجر بالبادية طيب الرائحة يستاك به، وقيل سموا العود الذي يتبخر به رندا.

3- عرفت مدينة رندة ازدهاراً كبيراً إبان فترة الحكم الإسلامي للأندلس، وكانت عاصمة اقليمية لأقليم تاكرنا، وبعد تفكك الخلافة الأموية في قرطبة، أصبحت رندة عاصمة لمملكة صغيرة من البربر يحكمها بنو يفرن (427-457ه)،خلال هذه الفترة تلقت رندة معظم تراثها الإسلامي، حيث أصبحت رندة منارة العلم والثقافة، اشتهر رجالاتها وأعلامها الكبار في مجالات العلم والفلسفة والأدب والتصوف، فلم يتركوا حقلا من حقول العلم

[1] أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، 1939، ج1، ص47.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

والمعرفة الا طرقوها، حيث ألفوا كتباً في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وآدابها وعلومها وفي الشعر، ويعد عباس بن فرناس واحدا من عباقرة العرب المسلمين الذين استطاعوا تحقيق أنبغ الكشوفات في ميادين العلوم التجريبية، وأن يمهدوا باكتشافاتهم العظيمة الطريقة للأجيال اللاحقة من علماء العصر الحديث.

4- بقيت رندة في يد المسلمين الى أن سير ملك قشتالة قواته في أنحاء مملكة غرناطة، لكي تنتزع كل ما يمكن انتزاعه، من القواعد والحصون الإسلامية. زحف القشتاليون واستولوا على حصن قرطبة، وحصن ذكوين وعدة حصون أخرى، وبذلك عزلت مدينة رندة، وأصبح الطريق ممهداً للاستيلاء عليها. وعلى أثر ذلك زحف القشتاليون نحوها فهاجموها، واستولوا عليها في جمادى الأولى سنة (890ه/1485م).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: المصادر الأولية

1- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: 658هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م.

2- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق محمد عوض، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

3- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفى: 542هـ)
،تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1978م.

4- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: 779هـ)، دار الشرق العربي.

5- رحلة بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (المتوفى: 569هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.

6- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (المتوفى: 1036 هـ)، ط2، دار الكاتب، ليبيا، 2000.

7- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

8- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: 900هـ)، تحقيق احسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر، بيروت، 1980م.

9- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: 776هـ)، تحقيق محمد كمال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

10- الاحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: 776هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424ه.

11- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: 776هـ)، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

12- وفيات الأعيان وأنباء أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900م.

13- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

14- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1985م.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (43) مارس 2023
Volume (43) March 2023
IJOHSS

15- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.
16- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، دار الهداية.
17- الاعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.
18- المغرب في حلا المغرب، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
19- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار احياء التراث، بيروت، 2000م.
20- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
21- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، المجمع الثقافي، ابو ظبي، 1423ه.
22- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.
23- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974.
24- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي(المتوفى: 704 هـ)، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2012م.
25- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.
26- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، 1939م.
27- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، ط3، دار صادر، بيروت، 1414ه.
28- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

ثانيا: المراجع الثانوية

29- في التاريخ العباسي والاندلسي، أحمد مختار العبادي ، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
30- معجم اللغة العربية، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ)، عالم الكتاب، 2008م.
31- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: 1300هـ)، ترجمة محمد سليم، وزارة الثقافة، العراق، 2000م.
32- الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، أبو سعيد المصري.
33- دائرة المعارف الإسلامية، ايفارست ليفي بروفنسال(ت1955م) ، وزارة المعارف.
34- الفينيقيون وأساطيرهم، محمد الدنيا ، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2011.
35- تاريخ الامازيغيين، محمد شفيق، المغرب، 1989.
36- دولة الاسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: 1406هـ) ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.43.2023.535